الرسم العثماني

حكمه: توقيفي يجب التزامه والأخذ به، ولا تجوز مخالفته.
الدليل على ذلك:

1- لأن عثمان رضي الله عنه نسخ مصاحفه من صحف أبي بكر، التي هي مكتوبة من الصحف التي أملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرها، فيجب المحافظة على هذا الرسم.

2_ رسم المصحف العثماني مشتمل على القراءات الثابتة، وإذا رسم بطريقة إملاء الحديث فإن هذا لا يشتمل على القراءات ويؤدي إلى خلل في الوقوف، يوقف على ما لا يجوز الوقف عليه، أو يوقف بالهاء على ما يجب الوقف عليه بالتاء، كما في الكلمات المرسومة بالتاء يوقف عليها بالتاء مثل (رحمت)، وفي مواضع أخرى (رحمة) وفي مواضع (امرأة)، وفي مواضع أخرى (امرأت).

3- قواعد إملاء الحديث تتغير، وتعدل على مر العصور، فإذا انفتح المجال للتعديل في رسم المصحف وفق قواعد الإملاء فإن هذا سيؤدي إلى اللحن والخطأ في كتاب الله تعالى ولأدى هذا إلى تغيير خط المصحف من عصر لآخر، بل إن قواعد الإملاء نفسها تختلف فيها وجهات النظر في العصر الواحد، وتتفاوت في بعض الكلمات من بلد لآخر.

قال أشهب: "سُئل مالك: هل يُكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ قال: لا، إلا على الكتبة الأولى" رواه أبو عمرو الداني في "المقنع" ثم قال: "ولا مخالف له من علماء الأمة"

تحسين الرسم العثماني

كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل، اعتمادًا على السليقة العربية السليمة التي لا تحتاج إلى الشكل بالحركات ولا إلى الإعجام بالنقط، فلما تطرق إلى اللِّسان العربي الفساد بكثرة الاختلاط أحس أولو الأمر بضرورة تحسين كتابة المصحف بالشكل والنقط وغيرهما مما يساعد على القراءة الصحيحة.

أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي الذي يُنسب إليه وضع ضوابط للعربية بأمر علي بن أبي طالب، ويُرْوَى في ذلك أنه سمع قارئًا يقرأ قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}, فقرأها بجر اللام من كلمة "رسوله" فأفزع هذا اللحن أبا الأسود وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى زياد والي البصرة وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت، وكان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله، فتباطأ في الجواب حتى راعه هذا الحادث، وهنا

جد جده، وانتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله، وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين
ثم تدرج الناس بعد ذلك في وضع الرموز التي تشير إلى رءوس الآي، وعلامات الوقف وقد وصلت العناية بتحسين رسم المصحف اليوم ذروتها في الخط العربي

الأحرف السبع وعلاقتها بالقراءات

نزل القرآن بلغة قريش على الرسول القرشي تأليفًا للعرب وتحقيقًا لإعجاز القرآن أن يأتوا بمثله أو بسورة منه، فقريش من بين العرب قد تهيأت لها عوامل جعلت للغتها الصدارة بين فروع العربية الأخرى من جوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام والإشراف على التجارة، فأنزلها العرب جميعًا لهذه الخصائص وغيرها منزلة الأب للغاتهم.

المراد بالأحرف السبعة	سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، نحو: أَقْبِل وتعال، وهلم، وعَجِّل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، ويدل له ما جاء في حديث أبي بكرة: "أن جبريل قال: يا محمد، اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: على حرفين, حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف، ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب، كقولك: هلم وتعالى وأَقْبِل واذهب وأسرع وعَجِّل", قال ابن عبد البر: "إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، وأنها معان متفق مفهومها، مختلف مسوغها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافًا ينفيه ويضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب".
	عن الأعمش قال: "قرأ أنس هذه الآية: "إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلًا"، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي "وأقوم" فقال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد".
	عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة، وقبيلة واحدة، وقد اختلفت قراءتهما "قرأ رجل عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فغيَّر عليه، فقال: لقد قرأت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يُغيِّر علي، قال: فاختصما عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، ألم تُقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى! قال: فوقع في صدر عمر شيء، فعرف النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك في وجهه، قال: فضرب صدره وقال: "ابعد شيطانًا" -قالها ثلاثًا- ثم قال: "يا عمر، إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذابًا أو عذابًا رحمة".

ثم دعت الحاجة إلى التزام القراءة بحرف واحد مخافة الفتنة في زمن عثمان، ثم اجتمع أمر الأمة على ذلك، وهي معصومة من الضلالة ولولا هذا لظل الاختلاف في القراءة قائمًا، ولما كان هناك فرق بين جمع عثمان وجمع أبي بكر.

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف

تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لسان ولا عهد لهم بحفظ الشرائع وقد شاب الواحد منهم على لهجة معينة، لا يستطيع أن ينطق بغيرها.
عن أُبَيٍّ قال: "لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء فقال: إني بُعثت إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم والشيخ والعجوز، فقال جبريل: فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف"
بالمثال يتضح المقال: بعض العجائز التي اعتادت على لهجة معينة، وأردت أن تُصلح لسانها بنطق الكلمات على الوجه الفصيح، لم تستطع، وتردد عليها، كأنما تلقن صبيًا، وهي تعيد مرة ثانية، وعاشرة باللفظة التي قالتها أول مرّة.
أول ما نزل القرآن، كانت لهجات العرب فصيحة؟ فكيف يستطيع الجميع أن ينطقوا به نطقًا واحدًا؟ وبالتالي فإن الأحرف الستة الباقية ما نزلت إلا في المدينة، لكثرة الداخلين في الإسلام، بينما في مكة كان النبي ﷺ بين قريش، وهم أفصح العرب، فنزل القرآن بحرف قريش.

إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب: فتعدد مناحي التأليف الصوتي للقرآن تجعل كل عربي يقرأ القرءان بلهجة قومه مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به الرسول العرب ومع اليأس من معارضته
ومن الأمثلة قوله تعالى: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ }[المائدة:6] منصوبة، {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ} مجرورة بحرف الباء، الرأس يمسح، أما الرجل ففيها قراءتان:
الأولى: قراءة: {وَأَرْجُلِكُمْ } بالكسر، فتكون معطوفة على الرأس، فيستدل منها مشروعية المسح على الجوربين والخفين.
الثانية: قراءة: {وَأَرْجُلَكُمْ } بالفتح فهي معطوفة على المنصوبات، فجاء بالممسوح الذي هو الرأس بينها، مما يدل على اشتراط الترتيب، لأن العرب تعطف المتشابه مع بعضه.
لأن الرجل لها حالتان: إما الغسل، وإما المسح، المسح في حال الجوربين والخفين، والغسل إذا كانت متجردة عنها.

القراءات والقراء

القراءات: غير الأحرف السبعة وإن أوهم التوافق العددي الوحدة بينهما، لأن القراءات مذاهب أئمة، وهي باقية إجماعًا يقرأ بها الناس، ومنشؤها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق وطرق الأداء من تفخيم، وترقيق، وإمالة، وإدغام، وإظهار، وإشباع، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف ... إلخ، وجميعها في حرف واحد هو حرف قريش.
الأئمة السبعة الذين اشتهروا في الآفاق هم: أبو عمرو، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وابن كثير وذلك لان قراءتهم هي المتفق عليها، وقد اختار العلماء من أئمة القراءة غيرهم ثلاثة صحت قراءتهم وتواترت، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وخلف بن هشام، وهؤلاء وأولئك هم أصحاب القراءات العشر. وما عداها فشاذ.
والسبب في الاقتصار على السبعة مع أنه في أئمة القرَّاء مَن هو أجلُّ منهم قدرًا أو مثلهم هو أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيرًا جدًّا, فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه فأفردوا من كل مصر إمامًا واحدًا

ضوابط القراءة الصحيحة:

يقول الإمامُ ابن الجزريّ في هذه الأركان في طيّبةِ النشر:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَانُ
وحَيثُما يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ

فوائد الاختلاف في القراءات الصحيحة

الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذا الأوجه الكثيرة،
لكن يصدق بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض، وكلها على نمط واحد في بلاغتها، وذلك برهان قاطع على أنها من عند الله.
مثلا: القراءة الأولى في قوله تعالى: {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:58]، المعنى: فليفرح أهل الإيمان بما أنعم الله عليكم بالإيمان وبفضل

الله وبرحمته ببعث النبي ﷺ وأنزل القرآن، وأن هداكم لهذا الدين، فهذا خير مما يجمعه أهل الإشراك من الأموال.
القراءة الثانية: { فبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تجْمَعُونَ} يعني: أي الخطاب لأهل الإيمان، فالفرح بفضل الله خير مما تجمعون يا أهل الإيمان من الدنيا، ويمكن أن يكون الخطاب لأهل الإشراك فبذلك فليفرح أهل الإيمان هو خير مما تجمعون أيها الكفار من الدنيا.
القراءة الثالثة: {فَبِذَلِكَ فَلْتفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تجْمَعُونَ} الخطاب لأهل الإيمان فلتفرحوا برحمة الله، فكل هذه المعاني أتت بسبب اختلاف القراءة.

التخفيف عن الأمة وتسهيل القراءة عليها

لأن كل قوم تسهل عليهم لهجات تصعب على آخرين ، فجاءت القراءات مشتملة على لهجات كثيرة ، ليختار كل مسلم ما يسهل عليه منها فيقرأ به.

إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه -فإن تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات يتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائمًا لكل عصر- و تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ.
مثلًا: {وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}, بالنصب والخفض في "وأرجلكم" ففي قراءة النصب بيان لحكم غسل الرجل، حيث يكون العطف على معمول فعل الغسل: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} وقراءة الجر بيان لحكم المسح على الخفين ، حيث يكون العطف على معمول فعل المسح {وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ} فنستفيد الحكمين من غير تطويل، وهذا من معاني الإعجاز في الإيجاز بالقرآن.
وكذلك هذه الآية على قراءة قُتل لها حالتان:
الأولى الوقف على كثير: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} [آل عمران:146] وقف، ثم قال{ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:146] المعنى: قُتل نبيهم معه ربيون كثير، اتباع وجماعات كثير، فما ضعفوا لقتل نبيهم، بل استمروا على نفس الطريق، وماتوا عليه.
الثانية: على الوصل {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتل مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني: جماعات كثيرة من اتباع هذا النبي قتلوا، فالأحياء بقوا صامدين، ثابتين، لم يفت ذلك في أعضادهم.
وعلى القراءة الأخرى المتواترة " قَاتَلَ": {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [آل عمران:146] المعنى: ما ضعفوا من الجراح والقتل والهزيمة، وما إلى ذلك.
هنا في كل قراءة تغير المعنى، وتغير الحكم.

بيان ما يُحتمل أن يكون مُجملًا في قراءة أخرى
كقراءة: "يطهرن" في قوله تعالى: {وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ}, قُرِئ بالتشديد والتخفيف، فقراءة التشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف، عند الجمهور، فقراءة التخفيف معناها التطهر بانقطاع الدم ورؤية الطهر، والتشديد تعني التطهر بالإغتسال فالحائض لا يحل وطؤها لزوجها بالطهر من الحيض، أي بانقطاع الدم، حتى تتطهر بالماء.

سهولة الحفظ وتيسير النقل
لأن حفظ كلمة واحدة ذات أوجه أسهل من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات.

إعظام أجور هذه الأمة، لأنهم بذلوا قصارى جهودهم في استنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، وفي استخراج كمين أسراره وخفي إشاراته.

بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، حيث تلقت كتاب ربها هذا التلقي فلم يهملوا منه تحريكا ولاتسكينا ولا تفخيما ولاترقيقا ولم تفعل هذا أمة بكتابها كما فعلت هذه الامة.

دفع ما قد يتوهم أنه ليس بمراد
الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة:9]، مع أن النبي ﷺ نهى أن نسعى للصلاة فقال: {لا تأتوها وأنتم تسعون} وأمرنا بأن تأتيها بحال من السكينة والوقار يوضحه القراءة الأخرى الغير متواترة وهي قراءة ابن مسعود: {فامضوا إلى ذكر الله}، فالمراد بالسعي: العمل على حضورها، وترك التشاغل عنها بالبيع وسائر القصود.
وهذه القراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف، لكن يستدل بها في التفسير من باب الإستئناس.

بيان الأحكام.
بيان حكم معين، كقول الله في كفارة اليمين، {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} [المائدة:89] هنا الرقبة مطلقة سواء كافرة أو مؤمنة، في قراءة ليست متواترة: أو تحرير رقبة مؤمنة.

يتبين بذلك لفظ مبهم
كما في قوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة:5]، ما معنى العهن؟ في قراءة غير متواترة: "وتكون الجبال كالصوف المنفوش"، فالعهن فسرته القراءة الأخرى وهي الصوف.

بيان أصل من الأصول أو عقيدة من العقائد، لربما خالف فيها بعض المنحرفين
قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان:20]، يعني: في الجنة ،وفي القراءة الأخرى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ومَلِكًا كَبِيرًا} وهذا فيه

دليل على إثبات رؤية الله لأهل الجنة، وفيه الرد على من نفى ذلك.